

ضياع يشبه الضباب

خواطر

الطبعة الأولى

2020م - 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع



ملحوظة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنوان الكتاب: ضياع يشبه الضباب

اسم المؤلف: حسن أبو قطيش

التصنيف الأدبي: خواطر

رقم الإيداع: 2020 / 15532

الترقيم الدولي: 2 - 20 - 6830 - 977 - 978



تصميم الغلاف: محمد وجيه

التدقيق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

المدير العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.





ضياع يشبه الضباب

خواطر

حسن أبو قطيش



إهداء

إلى روح والدَيَّ الحبيبين اللذين أتمنى رؤيتهما في الفردوس الأعلى من الجنة.

إلى شقيقتي وأشقائي الأعزاء.. عزوتي.

إلى زوجتي الحبيبة الغالية مهجة عشقي وقرة عيني.. الظل الوارف الذي أتفياً به من وهج الحياة.... سناء

إلى المؤنسات الغاليات قرة العين ومهجة الفؤاد بناتي.. لجين - ليليان.

إلى روح ابني اليمان الذي طار إلى الجنان توأم الشكل وغالي النفس رحمه الله.

إلى كل من شجعني ووقف إلى جانبي، ومنحني دفقة من أمل وحب..

إليهم جميعاً أهدي هذه الكلمات.

حسن أبو قطيش

من يشتري قلباً بهمّ وهو مثقلٌ؟!

حسن

تمهيد

مهما كان الضباب كثيفاً

ستشرق بعده الشمس

ومهما كانت همومك كبيرة سيأتي الفرج ولو بعد حين

المؤلف

رحلة البحث عن الذات

بقلم: الشاعر والناقد عبد الرحيم جداية

تعد الخاطرة من الفنون الأدبية التي أخذت شكلها كالقصة والرواية والشعر العمودي، فلا تعد الخاطرة جنساً أدبياً إشكالياً، بل هو جنس معروف الملامح والأطر، تدخل الكاتب حسن أبو قطيش في فن الخاطرة الأدبي، ليعيد إنتاج معاناة النفس والفيزياء في رحلة البحث عن الذات، والشاهد على ذلك عنوان كتابه "ضياح يشبه الضباب" فالضياح حالة نفسية يعيشها الكاتب مثل أي فرد بالمجتمع، لكن حساسية الكاتب واضحة جلية بقوله: "من يشتري قلباً بهمٍّ وهو مثقل"، هذه الإطالة في جملة المشهدية، التي تكاد أن تكون شكلاً من أشكال الهايكو، إذ استطاع أن يمزج علل النفس بفيزياء الطبيعة، وهذا ما يقوم عليه فن الخاطرة والهايكو، الذي يقوم على الطبيعة والموسمية والآنية، في مشهد قد يشكل لبنة في بناء الخاطرة، وهذا يقودنا ثانية إلى العنوان ضياح يشبه الضباب، فالضباب حالة فيزيائية طبيعية، تنتج عن تكثف الماء فوق سطح الأرض إلى درجة معينة، وتعيق الرؤيا حسب كثافة الضباب، وهذا الضباب هو شكل من أشكال الضياح، فالكاتب حسن أبو قطيش يريد أن يبتعد عن الهموم والمشكلات

النفسية، وأن يعيش رؤية واضحة وهذا ما ورد في التمهيد حيث قال: "مهما كان الضباب كثيفاً ستشرق الشمس، مهما كانت همومك كبيرة سيأتي الفرج ولو بعد حين" إذ جاءت الجملة الثانية تفسيرية لكثافة الضباب وشروق الشمس، حيث شكل مشهدية آنية لحظة شروق الشمس وتبدد الضباب.

ويبقى الكاتب حسن أبو قطيش باحثاً عن ذاته في الفضاء الأزرق الافتراضي، معيداً إنتاج الضياح في الواقع والطبيعة، كما أعاد إنتاج الضباب وشروق الشمس، باحثاً عن عنوان وجوده، وهذا ما يؤكد الكاتب في المقدمة بقوله: "الضياح يشبه الضباب، تدخله ويدخلك دون أي حواجز يتغلغل في جوفك ويخرج منك دخاناً"، وهذا الوصف مشهد رائع، أعاد إنتاجه من الطبيعة إلى الفضاء الافتراضي، فهل هو قادر على استيعاب هذه المفارقة بين الضياح والضباب، أم أنه يقدم لنا مفارقة تدخلنا في حضرة الكاتب، ليعيش المتلقي ما عاشه من ضجيج، فالباحث عن ذاته يحتاج إلى رفيق يحدثه ويسمع منه، كي لا تخونه تلك الحروف، فكانت الجملة في الخاطرة مدخله إلى الحرية في طريق لا يعرف نهايته.

فالكاتب ينجح إلى الخيال وأحياناً ينحني للوهم، وهذا ما يؤكد في نصه ضياح يشبه الضباب بقوله: "سقطت سهواً هنا، وارتطمت على الأرض واهباً نفسي أجنحة وهمية" فهل تأخذه الخيبة أم سيبحث عن سماء

واسعة وعالم واسع، ما يجيب على هذا السؤال، تلك الأحاسيس والمشاعر المحتشدة في نصوصه، والتي تشكل مدخلات لعالمه النفسي الواعي، حيث تتشكل العاطفة وتبحث الذات عن صوتها القوي المتمكن، وهذا الصوت الداخلي حسب نظرية روجرز عبر عنه الكاتب بقوله: "ذلك الذي استطاع من صوته أن يأسر الروح بقضبان من لؤلؤ" مما شكل حالة نفسية مترددة وصفها بالخوف كما وصفها بالجبن، لكنه أزاح ذاك الخوف مستفيداً من الإسقاط ليحيل الخوف لآخر، لذلك الضمير المنفصل، الذي يعيش في قوله: "لكن هو كان جباناً كالماء يستغل أبسط الطرق لمساره" وهنا ينبت المزاج بين اليمين واليسار بين الاستقامة والانعطاف بين الانحدار والصعود.

هذا المزاج هو بنية العاطفة والحالة النفسية في رحلة البحث عن الذات عند الكاتب حسن أبو قطيش، الذي يستدرج الوهن حيناً والمرض حيناً آخر، لعله يصل لحالة من الذهول والتي توازي الضياع نفسياً وتوازي الضباب فيزيائياً، ثم يغير مساره لأن مزاجه المتغير أراد لهذه الخاطرة أن تنتهي بجملة موحية، كما عبرت عنها الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاج بقوله في خاتمة الخاطرة: "أكتب لنفسى... لأنني اعتدت أن أنساها.. ولم أكتب منذ مدة لها" فالحوار حوار النفس والرحلة رحلة الروح من صلصالها، كما أشار ابن سينا في عينيته الرائعة عن النفس والروح بقوله: "هبطت إليك من المحل الأرفع.. ورقاء ذات تعزز وتمنع"

فرحلة البحث الفلسفية عن الروح والذات والنفس عند ابن سينا هي نفس الرحلة عند حسن أبو قتيش.

لقد صمم كتابه بأسلوب ذكي يأخذ عنوان واحد وفواصل تشكل محطات داخل النص، وكأنك تقف على عدة نهايات في نصه الأول ضياع يشبه الضباب، وهذا يحملنا للسؤال ما الذي سيقدمه لنا في نصه الثاني "لا تقل شيئاً لست أهلاً له"، يخبرنا العنوان الثاني بحالة نفسية تعرف ذاتها، مستخدماً اللغة الآمرة، فقد افتتح النص بجملة يؤكد أنه متأكد مما يقول "كل واحد منا لديه شيء ما يميزه عن غيره" وهذا رأي واثق فيه مزاجية تكون انفعاله بأسلوب في جديد يختلف عن نص ضياع يشبه الضباب، فكم خاطرة كتب، وكم حالة نفسية عاش، لو جمعنا كل الحالات التي أثتها في نصوصه هل تشكل الكاتب حسن أبو قتيش، أم أنّ لديه ما يخفيه أم أنّ لديه ما يضيفه في رحلة البحث عن الذات، وكأنّه يقول لنا في النص الثاني أنا أعرف ذاتي فهل تعرفون ذواتكم.

مقدمة

قبل فترة، شِدْتُ كِتَابَاتِي فِي صَفَحَاتٍ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْاِفْتِرَاضِيَةِ... كَانَ
عَنْوَانُ وُجُودِهِ "ضِيَاعٌ يَشْبَهُ الضَّبَابِ".. مَا أَدْرَكَتُهُ فَعَلَاءً، أَنَّ الضِّيَاعَ حَقًّا أَشْبَهَ
مَا يَكُونُ بِالضَّبَابِ!

الضِّيَاعُ يَشْبَهُ الضَّبَابَ، تَدْخُلُهُ وَيَدْخُلُكَ دُونَ أَيِّ حَوَاجِزٍ يَتَغَلَّلُ فِي جَوْفِكَ
وَيُخْرِجُ مِنْكَ دَخَانًا!!.

نَسْتَطِيعُ إِسْتِيعَابَ مَا نَحْنُ بِهِ مِنْ هُدُوءٍ، خَلْفَ تِلْكَ السِتَارَةِ الْمَنْزُويَةِ
وَالْمَسْطَرَةِ بِشَفَتَيْنِ مَقْفَلَتَيْنِ.. كَانَ الْمِفْتَاحُ شَيْئًا وَاحِدًا..

ضَائِعٌ مَا بَيْنَ أَفْكَارِي!

أَمْشِي بَيْنَ أَزْقَةِ الشُّعُورِ..

وَأَحْمِلُ ثِقْبًا فِي قَلْبِي.

هُنَا ضِيَاعٌ جَدَّابٌ، هُنَا الرُّوحُ!

هنا يمكنك أن تكون، لكن بضجيج الرّوح..

ارتأيتُ أن أحدثكم عن نفسي من خلالِ صورٍ، قد تصف الكثير مما لا
أستطيع كتابته، وحيثُ أنّ حروفي دائماً ما تخونني، وتتركني عند أمسّ
الحاجة لها! احتجتُ معبراً آخر للحرية، حيثُ حرّمت على النوافذ الإغلاق..
وارتفع صوت الكلمة.. أكتب ما أريد عمّا أريد وأراقب بصمت عمّن سيقراً
إحساسي..

أنا وطريق الكتابة قطبان متنافران.. نجتمعُ لنفترق على خدٍ من وجهٍ واحدٍ!
"ضياعٌ يشبه الضباب" مجرد عنوان لطريق! لا أعلم حقاً إن كنتُ سأنهيهِ أو
إن كنتُ حقاً سأبدأه!!

حسن أبو قطيش

ضياغ يشبه الضباب

تركْتُ مدّونتي بحثاً عن كتابٍ يُشبعُ الجوعَ الذي تشعر به روحي.. سقطتُ
سهواً هنا، وارتطمتُ على الأرضِ واهباً نفسي أجحةً وهميةً وكلّي خيبةً، أظن
بأنها ستوقعني أرضاً..

سمائي كبيرة، يعتليها قلبي شهيقاً، وينام على غيمها زفيراً.

وعالمي واسع، يكذبُ عليّ كثيراً، ويُتعبُ صحوَ وجهي بابتلاعه صحتي
ونومي...

وأنا كلّ صغيرٍ على ما أعيشه، فكلّ شيءٍ ينبش في قلبي، وكأنه مقبرة يُدفنُ
بها الأمواتُ دونَ الأحياء... أكتبُ والدمعة تتجمدُ من حرارة هذا الجو
البعيد.. ذلك الذي استطاع من صوته أن يأسر الرّوح بقضبانٍ من لؤلؤ..
تتجمدُ من الاشتياق لذلك صعب المنال.. فعلى متن العمر جزيرة واحدة
تضعُ المرساة عندها..

إنني أحاول الكتابة منذ أول يوم أمسكْتُ به القلم.

رجعت إلى نخلة ظلها عمودي، يصل ما بين الواحة الأولى، وتلك التي تبعد عنها عشرة أمتار.. أقف على طرف الجذع الأول من ناحية اليسار، وبكّل حركةٍ يتغير لون الظلّ بشكله بمقدار ميلانه..

يخبرني أنك بكّل خطوة، تغير مساراً، وبكّل مسار تعطي نفسك خياراً آخر.

حاولت الوقوف ساكن، حتى لا أحرّ بعبدة الخيارات، إلا أن سقطت على رأسي رطبة ناضجة، أجبرتني على التحرك..
النخلة هزّت جذعي..

حينها فكرت كثيراً أحقاً علينا إصابة الهدف..؟!

ياااه، لِمَ الأذى؟

لِمَ لا نعانقه مثلاً، أو نقبله.. حتى لا يوقعنا أَرْضاً؟!

جذعي هزّ الهدف، ولم يهزني!

لم يكن الهروب يوماً دليلاً على الجبن؛ فالماء يهرب من منبعه ليستقر في
الحنجرة..!! ولم تكن جميع الحناجر تستسيغ طعم الماء ليرحل إلى مثواه
الآخر في المعدة! بل كانت تبصقه في وجه الهواء.

لكن هو كان "جباناً كالماء، يستغل أبسط الطرق لمساره" وما أن وقع حجرٌ
في منتصفه حتى تغير جريانه وتغير مزاجه.. فهو متذبذبٌ كشامة على
الوجه، لا يعلم صاحبها أي خلية سرطانية حميدة أم علامة جمال!

بطلٌ قصتي هو الخوف.. الذي ما أن أنفضه عن جسبي، حتى يعود من
جديد كعاصفةٍ رملية، ويغطيني من أخص رأسي وحتى أعلى أصبع قدي
الكبير،

فالوجه واحد.. لكن ملامحه تختلف!

والقلم واحد.. لكن مشاعره تختلف!

والكاتب واحد.. وعنده كل شيءٍ يختلف..

والخوف لا بد أن ينتهي!

أكتبُ لنفسي التي تشعر بالوهن الآن، فهي مريضة حدّ الشلل الذي يقترن بالشعور لا بالجسد، وأحسدُ نفسي وجعها الذي يكبرُ ويكابر حدّ الألم الذي أشعر به في معدتي، التي تأكل حركتي وقوتي!

فأنا إنسانٌ لا يكبر إلا وفي عقله كسرة تجربة، تُعطيه أسباب العيش دون ذهول! وأنا قطعةٌ من قماشٍ، أستتر بها بنفسي عن جهلي كي لا يكشفني الوقت على مهل! وأنا الآن أشتاقُ لنفسي بعدما أتعبها الأنين في جوف الليل..!

أكتبُ لنفسي المرهقة المرهقة، التي يساورها الشك في نفسها دوماً وبسبب ذلك نقص وزنها؛ ليتخذ خصرها شكلاً جديداً حاداً بعيداً كل البعد عن ملامحه السابقة!!

أكتبُ لنفسي... لأنني اعتدتُ أن أنساها.. ولم أكتب منذ مدة لها.

لم أكن يوماً في أي شيء سوى الضربة المرتدة، التي تصطدم بعارضة المرمى،
لترجع بعيداً عن قاعدتها، وفي كل مرة أنحرفُ بها عن مسري، حتى فقدتُ
أشياءً مني ثمينة. لألوم نفسي عليها وقتما أشعر برهبة زوالها للأبد، فالرهبة
أشدُّ وطأةً من الخوف، فهي منبهٌ ما بين الثانية الأولى إلى الأخيرة بعجزك
وسقوطك، وابتلاعك للغصة التي لم تكن موجودة يوماً!

تمنيتُ لو أني المرمى نفسه في كل موقف، وأنفُضُ شبكي مع الفراغ بكل
ضربةٍ في منتصف معدته، عندها سأمسكُ نفسي وأمسكُ الكرة، ولن
أفلتها، قسماً بالله لن أفلتها! لأنها أغلى من أن تترد بعيداً عن حضني.
لكنني لم أستطع أن أكون المرمى، ولم أستطع أن أصبح أي شيء سوى
ضربةٍ ركنية، أو خط دفاعٍ تهاجمه مشاعره وغصته..

تمنيتُ أكثر أن أرتد لأقع حضناً في شبك المرمى المقابل، كي لا أعود وحدي
وظلي والكلمات.

أَمْضَيْتُ أَيَّامِي مُتَأَمِّلًا السَّحْبَ، فَمَا يَجُولُ بِخَاطِرِهَا يَجُوبُ فِي فَوَادِي.. كُنْتُ
هناك دون أيِّ مقدماتٍ، وقد سارَ بي الزمان دون أن أتلصص على أيامه
القادمة.

فقد عِشْتُ اللحظة ولأوّل مرّةٍ في حياتي لم أكذب على نفسي، وشعرتُ
بتجردي من كلّ شيء... فلا عاطفة، لا أفكار... مجرد جسد وروح وسحب،
تسحبُ مني ما أمده لي الوقت من صفعاتٍ وأرقٍ.
تلك العيون التي انتصبت في وجه السماء، عزفت سيمفونية الوجود،
وجودي فقط دون آخرين؛ وكأنني احتجتُ إلى هذه اللحظة منذ زمنٍ
قديم..

كان فراغاً جميلاً أعيشه بكل ملكاتي وجوارحي..
أوربما كان امتلاءً من بوحٍ آخر!
ففي ذلك المكان بالذات وجدتُ أو أضعتُ شيئاً مني، لكنني لم أبال، فمعنى
التجرّد يُبقيكَ في صحوة ذات ضجة.
متناسياً جميع الغفوات التي مررت بها، غافراً ذنب تعبكِ وإرهاقكِ..
قلبي معلقٌ في تلك السماء، حيثُ انتشلتني من كلّ شيءٍ؛ لأصبح جسداً من
وجود.

على العتبة جنونٌ وبعثرات، كبرتُ دهرًا بين أزقة الخيال لأكتب ما أريد،
وأشتهي من زاد الكلمات طبقاً معدياً باللذة، اللذة التي فقدتها يا (.....)!
حينما كنتُ أرتجلُ من على سفح الجبل، وحينما كان لساني يرتجلُ أعذب
الكلمات. فقد قلتها.. كتبها.. قبلتها.. ومن ثم رميتُ الورقة في الماء..
فمشاهدة الغرق بمقلة العينِ ممتعٌ.. فأنت ترى ما لا يستطيع أحدٌ وصفه،
ترى الصراخ، الذبول، الاندماج، القوة والضعف.. يبكي الحبرُ على الورقة
ليصبح شيئاً منها، جزءاً لا يتجزأ من تفاصيلها، كحبي لك!

فأنا ورقة من كلمات، سقطت عنوةً في قلبٍ من الماء، ليصبح شيئاً منه،
ومن تأويلاته!

لا أترشق مع الهواء بل أنفعل معه، ولا أقف هادئاً كالماء، بل أثير الضجة في
قلبٍ من أحب!

أتدري يا (.....)! بأنني أتحبط أرضاً، وكلّ مشاعرٍ مُرهقة، مُرهقة تجيء في
فؤادي وتتخط في داخلي لا ترحمني، فصخبها لا يشعر به أحدٌ غيري!
أهذا هو الحبُّ يا (.....)? وكلماتك لا زالت عالقةً في رأسي "لقد
حذرتك"، لِمَ لَمْ تحذرنِي من مشاعري.. والتي مرة أخرى تروي قصتها." على
العتبة جنونٌ وبعثرات....

الأحداث المكتوبة مبنية على مشاعرٍ واقعية...

كلّ شيءٍ غريب، أجدني فعلاً في المكان الذي يضع شعوري بجانب الطريق
لأكمل خطواتي دونه.

فالشعور عائق في بعض الأحيان.. يكبلنا عن المضي

لم أعتقد بأنّ وجهاً آخر للحياة سيكشف لي أنيابه، ليمزق بعضاً مني..

ابتليتُ أنا بمرض الفقد، فكنت دائماً مودعاً لمن أحبهم.. وغافلاً لوجودهم.

فكنت أجابه حرماناً بصدمة تمنع الدموع من السقوط، فالدمع قد يتوجه
أعلى العين باكياً ليصب غصته في الحلق!

أواجه صعوبةً حقاً في كتابة موقف أثري، لأنّ الإنسان جُبلَ على المواقف،
وبُنيت أفكاره على خبراته! وأنا ما بين جميع المواقف أقف متفرجاً لألملم
حصيدة نفسي، وأكره أن أعود بذاكرتي إلى الوراء لأن عادتي الحالية احتساء
فنجان التخلي والتقدم!

فموت ابني اليمان ووفاته على غفلة، انتشل مني قلبي ليتجاوز حدود نبضه،
ولأكمل حياتي تائباً، مستغفراً... متحدثاً إلى الله ليدلني إلى الطريق
الصحيح.

وموقف رابطة الدم التي جرحَتْ أحاسيسي، سكبت من عينيّ دماءً لا
دموعاً، حينما سرق الطريقُ توءَمَ الشكلِ وغالي النفس.. فأصبحتُ أتشكّلُ
من بعد الألم، شعرت بأني هزيلٌ كالطفل، وأنّ هذا كثيرٌ عليّ! حتى أصبحت
أظن بأننا لن نجد موقفاً واحداً فقط ليؤثر في حياتنا سوى الفقد التام، عدم
الرجوع، حرماننا ممن كانوا أساساً للحياة التي شكّلت فينا قناعتنا..

أن تتجاوزنا ضحكات الآخرين لترتبط برابطة مقدسة مع الموت.

قد نتكلم بقوةٍ عن الذكريات؛ لأننا وفي خضمّ النسيان نحاول الإقناع بأنّ
كل شيءٍ على ما يرام، وفي سبيل شخصياتنا القوية الحالية دائماً ما نقول: "أنا
على ما يرام".

كل واحد منا لديه شيء ما يميزه عن غيره، وقد يلقي هذا الشيء اهتماماً خاصاً من أحد الأشخاص، الطبع الإنساني يُحبّ المجاملات، ويحبُّ أن يتعمق الآخر بسردّ التبجيلات له، والمديح والإطراءات المتكررة التي لا تعني شيئاً سوى المحاولة في التقرب، ربما نحن من لا نظهر استمتاعنا بتلك الإطراءات والكلام المعسول نشعر بنشوة من نوع خاص، لا تظهر على تعابير الوجه بقدر تعابير الروح بغض النظر عن مدى مصداقية هذه الكلمات التي خصصها الآخرون لنا؛ فالطبيعة البشرية هي من تفرض هذا النوع من الشعور باللذة مقابل كلمة قد تطفئ عجزاً تخافه!

الموضوع لا يتعدى حدود الثقة بالنفس، ولا يجب أن يختلط بها، فكما أسلفت أننا وكطبيعة بشرية؛ فالتمجيد سواء بابتسامة يدفعنا للإنتلاق..

ويعطينا القوة لأن نجتهد للوصول، فالعقل الباطني طفل صغير فيما يتعلق بالدفعات المعنوية، هذه على مستوى شيء بسيط، فما بالك بمن خصص لك حروفاً.. وأثار الصخب في هدوء الكلمات.. كغريبٍ أشعل فتيل قشةٍ من ريح، تختلط بصيفٍ وشتاءٍ، رمى سلاحه في الجوِّ ومضى، والآخر ينتظر منه أن يحرك ساكناً بعدما كان الحراك.

• ستمر علينا لحظات في حياتنا ستختلط فيها مشاعرنا..

سنتوه بها، لن ندري ما نحن به..

حبّ، تعلق، عشق، اعتياد، اهتمام، سكون، انهيار، اشتياق، غربة، عزلة،
وهم، ضياع، تشتت، فتور، قوة، ضعف، استياء، اختناق، وجع، ألم، فرح،
بهجة، استسلام، خضوع، احتياج، انتصار، انهزام..

ربما سنشعر بكلّ هذا في وقتٍ واحد، حينما خلق الله تعالى العاطفة في
البشر، لم يقصد بأن تكون سبب وجعهم!

ولم يرد أن نستغل كل ما أوتينا من أحاسيس دون عقلانية..

• مشاعرنا هي أرقّ يصيب العقل.. نحن من نستوعب صمودها أو
انكسارها، حينما تدخل في فوهة أيام الإنسان سيّساء فهمها..

• ربما سنتوهم بأننا نحُبّ شخصاً ما.. ونستخدم مصطلح "الحبّ" بدلاً من
الاهتمام! ربما يكون الحبّ إنسانياً لدرجة الصداقة النقية التي لا توجد إلا
نادراً!

• لا تخسر علاقاتك مع الآخرين بناءً على مشاعر، ربما تبدو كبيرة جداً قد
تخفق أضلاع قلبك، لدرجة أنك لن تستطيع احتمال فكرة نزع ذلك

الشخص منك خوفاً أن يزول.. هناك علاقات أقوى من الحبّ الزائل..
فاحتفظوا بها.

اختلطت المفاهيم قليلاً..

لكن كيف لك أن تعرف بأنك اعتدتَ شخصاً.. وأنّ الذي بينكما هو فقط
اعتيادٌ خوفاً من أن يخسر كلاكما الآخر؟

لا تقل شيئاً لست أهلاً له

كل واحدٍ منا لديه شيءٌ ما يميزه عن غيره، وقد يلقي هذا الشيء اهتماماً خاصاً من أحد الأشخاص، الطبع الإنساني يُحبّ المجاملات، ويحبّ أن يتعمق الآخر بسردِ التبجيلات له، والمديح والإطراءات المتكررة التي لا تعني شيئاً سوى المحاولة في التقرب، ربما نحن من لا نظهر استمتاعنا بتلك الإطراءات الكلام المعسول، نشعر بنشوةٍ من نوعٍ خاص، لا تظهر على تعابير الوجه بقدر تعابير الروح، بغض النظر عن مدى مصداقية هذه الكلمات التي خصصها الآخرون لنا؛ فالطبيعة البشرية هي من تفرض هذا النوع من الشعور بالذلة مقابل كلمة قد تطفئ عجزاً تخافه!

الموضوع لا يتعدى حدود الثقة بالنفس، ولا يجب أن يختلط بها، فكما أسلفنا أننا وكطبيعة بشرية؛ فالتمجيد سواء بابتسامة يدفعنا للانطلاق.. ويعطينا القوة لأن نجتهد للوصول، فالعقل الباطني طفل صغير فيما يتعلق بالدفعات المعنوية، هذه على مستوى شيء بسيط، فما بالك بمن خصص لك حروفاً.. وأثار الصخب في هدوء الكلمات.. كغريب أشعل فتيل قشةٍ من ريح تختلط بصيفٍ وشتاءٍ، رمى سلاحه في الجو ومضى والآخر ينتظر منه أن يحرك ساكناً بعدما كان الحراك.

الغاية لا تبرر الوسيلة

مع الأسف يوجد بعض الأشخاص يستغل محبة الناس له أو لرسالته من أجل أهداف شخصية.

وكما قال أحدهم:

إنَّ الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلبٍ نبيل. فكيف يمكن لذلك القلب أن يطبق استخدام وسيلة خسيصة؟ بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة؟! حين نخوض إلى الشط الممرع ببركة من الوحل، لا بد أن نصل إلى الشط ملوثين... إنَّ أحوال الطريق ستترك آثارها على أقدامنا، وعلى مواضع هذه الأقدام، كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيصة، إنَّ الدنس سيعلق بأرواحنا، وسيترك آثاره في هذه الأرواح، وفي الغاية التي وصلنا إليها.

إنَّ الوسيلة في حساب الرّوح جزء من الغاية. ففي عالم الرّوح لا توجد هذه الفوارق والتقسيمات! الشعور الإنساني وحده إذا حسَّ غاية نبيلة فلن يطبق استخدام وسيلة خسيصة.. بل لن يهتدي إلى استخدامها بطبيعته!

" الغاية لا تبرر الوسيلة!! "

إنني أحتوي صراخاً ليس له أي صوت، فاللغة التي اعتدتها تخونني،
والكلمات التي لطالما كانت ملجئي تنحت عني...

ولأن كل ما أملكه الآن هو الصمت والقليل من الانعزال!
لا يبكي لي جفن ولن تنبض لروحي أي أفكار للرغبة في أي شيء...
يდაي ترتجفان بمجرد استيقاظي من النوم ذي النوع المتقطع.
الذي يجروء على إخماد السكون بي وزعزعة حالة السُّبات!

لقد كانت مهارتي على الدوام، ألا أثير انتباه أحد، لقد كنتُ دوماً مُحاطاً
 بميزة العبور دون إرباك أيّ شخص، كنتُ خفيفاً مثل وجهٍ سهل نسيانه،
 لا تذكارات لا تحيات الصباح لا عناوين لا حُب، مُتَخَفِّفاً مِنْ أيّ شخص قد
 يعلق في الذاكرة...

لكني الآن أتساءل

ماذا يفعلُ المشتاق بكفِ يدهِ!؟

أيمسكها أم يشدها أم يرى حجم قلبه بها..

أبسط الكفَّ أم يقبضه، ليقيسَ حجم اشتياقه..

حاول كثيراً أن يشبه الآخرين... كلما لكمته الدنيا على أحد خديه أدار لها
خده الآخر... ثم مضى كأن شيئاً لم يكن... أراد أن يتخلص من عزلته مرة
واحدة ثم يصير حجراً... أو ربما شجراً... أن يمرّ بالحياة من دون أن يعلق
بخلجها شيء منها...

أن يهتم بنفس الأشياء التي تلفت انتباههم... وأن يحب نفس الأشياء التي
تستهوي قلوبهم....

كلما أراد البوح هرع إلى أذنٍ تسمعه بدلاً من عين تقرأه...

أراد بشدة أن يشبههم. يشعر بنفس مقدار شعورهم.. ويرضى بما يرضيهم..
يطفو على السطح بدلاً من الرغبة الدائمة في اكتشاف العمق...

إلا أنه لم يفلح أبداً... لذا تراه الأعين ملولاً إلى أبعد حد.. ليس له جلد على
أي شيء... هادئ إلى حد الضجر... مبتسم... مستفز... انطوائي إلى حد
النسيان... غامض يثير الفضول... ليس بينه وبين واقعه أي رابط أو
صلة... لا يعلمون أنه في فلكه الخاص يمتطي الخيال ليسكن الحلم...

ما بين منطوق المشاعر ومنطوق العقل نقف دوماً حائرين ومطوقين
 بخصالٍ جامحة، لِمَ لا يكون حُبنا للبشر كحُبنا لحيواننا الأليف الذي نأوي
 إليه لنرتاح، أو لكتابنا المُفضل ليساعدنا على فهم شعورٍ ما، أو كشجرة
 الياسمين المتكئة على طرف الشارع، تنتظر مرورك لتنشر رائحتها وتُفِرِّحَ
 أنفاسك ببوحها.. أو كشجرة التوت تلك التي أمضى ذاك الفلاح عمراً
 لتكبر؛ فذهب هو وبقيت شاحخة جميلة الأثر، ما أن تنظر إليها حتى تتذكر
 العلاقة الجميلة التي كانت ما بين الفلاح وثماره..

حتى في علاقاتنا بهذه الأشياء غير العاقلة، يتولد لدينا شعور إلفة هادئ،
 يروي ظمأ العديد من العواطف المؤقتة..

لِمَ لا نحاول تجربة أن ننظرَ كُلَّ مَنَّا للآخر بنظرةٍ خاليةٍ من كل شيءٍ سيؤثر
 على استمرارية وجودك مع من تحبهم!

في كل سنة أحاول أن آتناسى ال ٢٨ من نيسان، وأتمنى لو أستطيع القفز عنه! لربّما كان من السهل عليّ أن أغلق جميع الطرق التي ستنتهي بي لأتذكر، أو أن أغلق هاتفى الثري بالتواريخ والمواعيد والمنبهات الرثة، التي ما أنفك أفكر فيها تزعجني أكثر وأكثر..

سأرجع إلى ما يقارب سنيناً مضت، حينما رحل جسد ابني اليمان، واستقر بقلبي...

لا أعلم ما هي علّة الليل!

وما هذه الذاكرة غير الرحيمة التي تلتصق بي، في تلك الأيام وتحديدًا في شهر نيسان، حينما قبّلت يمان آخر قبلةٍ على جبينه المتوفى، وحينما شعرتُ بالغصّة بأنّ هذه آخر مرةٍ سأراه فيها، تجمدت كل مشاعري!

تماماً كبرودة وجهه التي كرهتها لأنها تسيطر عليه!!

فقد أحسست بضيق الكون يترجل من صدور الناس؛ ليستقر على صدري ليهتك عظامي وصولاً لقلبي الصغير!

في كل سنة أحاول أن أتغاضى عن معنى فقدانك، فلا ألمحك طيفاً، ولا أراك بأحلامي... "يمان" لطالما تمنيتك أن تكون اليوم لأراك بين شقيقاتك. سنين مضت وستزيد وأنت بحضن التراب بين يد العزيز الرحيم.

نعم، تتألم الروح!

فهي عضوٌ خفي، لا يمكن أن تلمسه لكنك تشعر بألمه في جميع أنحاء جسدك.

يمكن أن تكون العين حينما تبكي.. أو المعدة حينما تمتنع عن الطعام وتغرق بجوعها!

يمكن لها أن تكون "وهناً" في جسدٍ لا يغادر السرير..

أرواحنا حينما تتألم، تنتحل شخصية كل عضوٍ فيك، حتى لا تستطيع وصف ما تشعر، حتى لا تستطيع الكتابة.. أو أن تجلس كعادتك! أرواحنا هي نقطة ضعفنا..

فالكلمات يمكن لها أن تهزأ من قلبك أيضاً.

كم هو جميلٌ ورائعٌ أن يقصدك الكثيرين بحسنٍ، ظناً منهم فيك وأن تلفت انتباه من حولك بطيبة تعاملك وحسن أسلوبك وسلاسة حديثك؛ فما أن يمر وقت قليل إلا وتشعر بتمازجهم واندماجك بهم بسرعة تبهرك وتدهشكم، وتجعل كل طرف يتساءل ما سرُّ هذا التلاقي والتقارب العجيب؟! وتتركون الإجابات للوقت والمواقف فوحدها كفيلة بإزالة الإبهام وما كان من استفهام ويزداد الشعور والإحساس بالإلفة والراحة والارتياح كلما تقاربت المساحات وتقلصت المسافات، وليست بالضرورة قرب المساحات المكانية والمسافات الزمنية، بل هناك قرب أرواح بات سهلاً ومتاحاً؛ فيكون التعودُ وربما التعلق بدوافع وغير دوافع محسوساً منها كانت أو معنوياً فتتوطد الروابط بكل مسمياتها.

ومن المؤسف جداً بذات الصعود في العلاقات يكن الهبوط الاضطراري بها وفي غمرة تلك الحالة التي تكاد أن تجزم فيها بأنك شيدت جسراً متيناً من الحبِّ والمحبة وصدق النوايا، تتفاجأ بأنَّ كلَّ ذلك تصدع وانهارت كل أعمدته، وفقدت تلك العلاقات بوصلتها وما الأسباب إلا تلك التي كانت سبباً في نشأتها من طيبة زائدة حد السذاجة، تجعلك تنداح وتسترسل في الحديث دون حذرٍ أو تكلفٍ ظناً منك أنَّ ما بينكم تخطى مرحلة عدم الفهم وسوء الفهم، وحين وقفةٍ تدرك بأنَّ ليست كل النفوس بنفس المستوى

والأرواح بذات المحتوى وتظل متسائلاً في حيرة كيف لنا بالفهم العميق
والارتقاء؟

وتلوم نفسك معاتباً ومهدداً لها بالانكفاء والانزواء وحرمانها من أي لقاء
لعله يكون العلاج الناجع والجيد من الدواء.

وتبقى الحقيقة هي أنّ فعل الوصول للآخرين ومعرفتهم ليس صعباً بقدر ما
أنّ المحافظة على تلك الصلات والتواصل هي الأصعب.

قيل للمشاعر كيف تموتين؟

قالت:

كنت في أوج شبابي

صاحبة حدود متوردة

كان شعري منسدلاً

كانت بشرتي صافية وعيوني تلمع أملاً

كنت متوهجة

ثم قابلوني ببرود

لا كلمة لطيفة تروي رمقي وتسد جوعي

ولا غزل رقيق يشعل وجنتاي

بدأت أذبل لكنني مت تدريجياً

أصبحت أخاف العيش مجدداً

وضعت نفسي على سكة الأمل

أغلقت عيني

وعزفت لحن موتي بصوتٍ مرتفعٍ

فكان موتي راقياً

كي لا يقال في يوم

أنّ المشاعر قتلت نفسها!!!

لا تندم على حبّ عشته... حتى ولو صارت ذكرى تؤلمك... فإذا كانت الزهور
قد جفت، وضاع عبيرها ولم يبقَ منها غير الأشواك فلا تنسَ أنها منحتك
عطراً جميلاً أسعدك.

لا تكسر أبداً كلّ الجسور مع من تحب... فربما شاءت الأقدار لكما يوماً
لقاء يومٍ آخر، يعيد ماضى ويصل ما انقطع... فإذا كان العمر الجميل قد
رحل... فمن يدري ربما انتظركَ عمرٌ أجمل.

وإذا قررت يوماً أن تترك حبيباً؛ فلا تترك له جرحاً، فمن أعطانا قلباً
لا يستحق أبداً منا أن نغرس فيه سهماً، أو نترك له لحظة ألم تشقيه... وما
أجمل أن تبقى بيننا لحظات الزمن الجميل...!! وإذا فرقت الأيام بينكما فلا
تذكر لمن كنت تحبّ غير كل إحساسٍ صادق... ولا تتحدث عنه إلا بكلّ
ما هو رائع ونبيل... فقد أعطاك قلباً... وأعطيته عمراً، وليس هناك أغلى من
القلب والعمر في حياة الإنسان... وإذا جلست يوماً وحيداً تحاول أن تجمع
حولك ظلال أيام جميلة عشتها مع من تحبّ، اترك بعيداً كل مشاعر الألم
والوحشة التي فرقت بينكما.

حاول أن تجمع في دفاتر أوراقك كل الكلمات الجميلة التي سمعتها ممن
تحب... وكل الكلمات الصادقة التي قلتها لمن تحب... واجعل في أيامك
مجموعة من الصور الجميلة لهذا الإنسان الذي سكن قلبك يوماً...

ملاحمه... وبريق عينيه الحزين... وابتسامته في لحظة صفاء... ووحشته في لحظة ضيق... والأمل الذي كبر بينكما يوماً... وترعرع حتى وإن كان قد ذبل ومات، إذا سألوكم يوماً عن إنسان أحببته فلا تقل سرّاً كان بينكما... ولا تحاول أبداً تشويه الصورة الجميلة لهذا الإنسان الذي أحببته، اجعل من قلبك محباً سرياً لكل أسرارهِ، وحكاياته فالحب أخلاق قبل أن يكون مشاعر، وإذا شئت الأقدار واجتمع الشمل يوماً، فلا تبدأ بالعتاب والهجاء والشجن، وحاول أن تتذكر آخر لحظة حبّ بينكما لكي تصل الماضي بالحاضر، ولا تفتش عن أشياء مضت لأن الذي ضاع... ضاع... والحاضر أهم بكثير من الماضي... ولحظة اللقاء أجمل بكثير من ذكريات وداع موحش، وإذا اجتمع الشمل مرة أخرى... حاول أن تتجنب أخطاء الأمس التي فرقت بينكما، لأنّ الإنسان لا بد أن يستفيد من تجاربه... ولا تحاول أبداً تصفية حسابات أو تتأثر من إنسان أعطيته قلبك... لأن تصفية الحسابات عملة رخيصة في سوق المعاملات العاطفية، والثأر ليس من أخلاق العشاق... ومن الخطأ أن تعرض مشاعرك في الأسواق وأن تكون فارساً بلا أخلاق.

وإذا كان ولا بد من الفراق، فلا تترك للصالح باباً إلا مضيت فيه.

إذا اكتشفت أن كلّ الأبواب مغلقة... وأنّ الرجاء لا أمل فيه... وأنّ من أحببت يوماً أغلق مفاتيح قلبه... وألقاها في سراديب النسيان... هنا فقط أقول لك:

إنّ كرامتك أهم بكثير من قلبك الجريح... حتى وإن غطت دماؤه سماء هذا الكون الفسيح... فلن يفيدك أن تنادي حبیباً لا يسمعك... وأن تسكن بيتاً لم يعد يعرفك أحد فيه... وأن تعيش على ذكرى إنسان فرط فيك بلا سبب.

في الحبّ لا تفرط فيمن يشتريك... ولا تشتري من باعك... ولا تحزن عليه.

ما دمت تستطيع أن تحلم، فسنبال الأمل موجودة بداخلك.

إسقمها فقط بمزيد من التفاؤل ليتحول الحلم إلى واقع أجمل.

فنحن لم نخلق لنيأس، خلقنا لنقف على شرفة الحياة حاملين ذكر الله
وحسن ظننا به في قلوبنا.

بكينا اليوم غداً سنضحك، تعبنا اليوم غداً بعونه سبحانه وتعالى سنرتاح

فما أجمل الحلم، حين يرافقه ذكر الله وحسن الظن به!.

كُلُّ منا يبحث عن طريقة لجعل الآخرين يهتمون به، أو يشعرون بوجوده.
ليس لأنه لا يوجد من يهتم أو يشعر، ولكن نفعناها لأنه برغم وجودنا بين
الناس، تأتي علينا لحظات نشعر بالوحدة، في حين أننا موجودين وسط
الكثيرين...
وهذه هي الحلقة المفقودة.

قد تكون الورود البرية أكثر جمالاً، وأعبق عطراً من تلك التي يداوم على سقايتها ساقٍ لا يعرف قيمة الورد ولا يغريه عطرها... مسكينة هي بقدر جمالها الخارجي الأخاذ، بداخلها رونق يضاهيه وعبق فواح يأسر المارين بجانبها في حين غفلته هو، فيسبقه غيره لقطفها، أو تذبل على مرأى من عينيه، فيدرك حينها أن كلّ جمال الحديقة كان بجمالها وكل عطرها بعبقها.

أريد البوح لكن بدون كلام، وليسمع العالم بصمتٍ كمن يختبئ خلف
قضبان الحروف ليكبل نفسه محرراً ذاتي.. المهم أن أتخلص من بئر أفكاري
المحاصرة لعقلي على أرصفة توهان الوقت المنقضي، ربما أرتاح ولكنني على
يقين بأني لن أريح نفسي..

هي الحياة تمضي دون أي مقدمات، ومن دون أن تأخذ رأي أفكارنا...

فنجد أنفسنا دائماً، تحت شعار المضي والنظر إلى الأمام...

تاركين خلف آثارنا بصمات، ذكريات صدى أصوات.

هل لي أن أستريح هنا

من عناء الوقت

من تعب المسير.. على الدروب المهترئة

وأسند رأسي.. إلى ظل قلبك

أغمض عيني لبرهة

لربما داهم رأسي المشغول حزناً

طيف أمنية

أو أشلاء حلم

هل لي أن أطيل البقاء؟!

ويوماً ما.. سأستذكرُ هذه اللحظات.. وأفتقدُ هذه الأيام.. ويقتلني الحنين..

وقد تغلبني الدموعُ حينها.. بعدَ مشوارٍ انتصاراتي الطويل عليها..

حينها.. سأرسمكم بشوق.. وأحدّثكم بفوضى المشاعر.. وفيض الأمنيات.

طموح الروح أنتِ
تبعثرين في قلبي
المشاعر
كما تبعثرين في الحبِّ
قصائدي
وأقف أمام فوضاكِ عاجزاً
فتعالى إليّ
وأعيدني في العشق
نظامي

ماذا أقول لعينيك...

عن تعبي...

أم أقول كلاماً جميلاً لكي يمنحاني العبور...

فأخذ أمتعتي...

وأسافر عبر ثناياهما العطرة...

سحر عينيك يطلبني للرحيل...

وفي نور عينيك لون الأمنيات القديمة...

فانتظريني إذا ما أتيت...

أستند على جدار الليل
وأفتح أجنحة حلمي
أمدّ حنيني على مقعد المساء
وأحتطب من غابة حزني
فرحاً يليق بعينيك
أختطف نجوماً من سماء القلم
لأرسمك... وشماً على جسدي ...
وأغمض عيني
أشرّع الأمانى
أغمض عيني
أفتح قلبي
وأغمض عيني
فأراك...
ولا أراني

كم مرّة
نهرت قلبي
أن ينساها...
فيجنح
ويرفرf بجناحيه
ويمضي هائماً
خلف خطاها...
كم مرّة
تعثّر القلب
كلّما أبصر وجهاً
يشبه محياها
وكم مرّة...
خالست القلب
علّني...
مصادفة أراها

لا تصدق الكلام ولا تصدق الصمت.. ثق فقط بالعينين، فهي الأصدق بوحاً
عن الإحساس، وليس لعقولنا أو لتعقلنا من سيطرة على اعترافات هربت
من نافذة الروح..

الخوف يلاحقني كظلي ولا أتبعه كما يتبعني، لكنني في بعض الأحيان أتوقف
لأُتحدث معه قليلاً فيسبقني وأتبعه!

ما بيننا...

تراتيل حبّ تغازل القمر...

مكتوبٌ على أمواج البحر...

فوق الجبل وعلى السّفح...

وعلى الحجر...

هذه النعمة من غدق المطر

قطرات سائلات حائرات

حين ترويهـا أمطار في خجل

ستنتهي الأزمات يوماً كما بدأت في يومٍ ما.. وستمضي الأحزان غارقةً في بحر
الأمَل.. وسيبكي الفشل.. وسيعلن اليأس حداده.. وسيمحو الزمان مكانه...
ولن يبقى للدموع منصب في دولة العيون.. سيزول الحزن.. كأنه لم يأتِ
ولم يَكُن....

نعم لا تشرق أرواحنا ولا تزهر قلوبنا إلا بعد ألمٍ ومعاناةٍ قد يشق بعدها ليل
الدجى الحالك بصيص أمل لم يزل هناك، فهو ليس إلا نافذة تطل بنورها من
السماء من نور وروح، ووحى ورحمة من الله في آخر النفق المظلم، فلا نياس
ولا نحزن فنحن على يقين بأن الله معنا....

إن مأساة الحياة ليست أنها تنتهي بسرعة، ولكن أننا ننتظر طويلاً لأمر
كثيراً يتوقف عليها شعورنا بالسعادة وربما لا تأتي.

فلا تبحث عن الكمال، بل ابحث عن الجمال فيما تملك، حتى تراح
وتقبل الأشياء التي لا تستطيع تغييرها، ولتبدأ بالاستمتاع بما حولك من
نعم الله عليك..

فالرضا لمن يرضى...

على بعد أميال عن نفسي أقف الآن هنا...
أهجر الماضي لبرهة، وأقوم بتجميدِ بطيءٍ للمستقبل
لأعيش الأنا.. الآن هنا...
أعيش حدودي التي رسمها بإتقان وجودي
كأنّه ديكتاتور يرسم خارطة مستعمرته
ليس أروع من أن تعيش نفسك
في لحظة وعيك بنفسك
في حدود وجودك الآن وهنا
بعيداً عن سجن الأمس، ووعده الغد الذي لا يضمّنه أحد.

فوق صدر الأيام أضع رأسي
أستمع إلى نبض الزمن المتصاعد
ألفُ يديَّ على خصر النهار
وطول الذوائب ظلمة الليالي
أحكم قبضتي على ساعد أيامي
خوفاً أن تضيع مني
فأنساها وأنسف أحلامي.

أبقيني على مقربة منك...
 لألمح شيئاً من حضورك...
 دعيني ألتجسس ما استطعت على شؤونك الصغيرة...
 تلك التي لا تهتمين بها...
 لأؤلف منها رواية أقرأها مراراً ساعاتٍ وحدتي...
 أتركيني ألملم أشياءك المهملة التي لا تحتاجينها
 ولا تلقي لها بالاً... أؤسس بها فرحاً...
 أسترق النظر إلى حروفك القليلة التي تلقينها
 دون أن تعبئي بها..
 والتي تساوي عندي آلاف القصائد..
 أتبنى مواقفك التي تتخذها دون أن تعلمي
 أن هناك من يراقبك...
 أبقيني قريباً وأعدك أن أظل بعيداً...
 أما أن أغادر عالمك...
 فهذا ما لا أقوى عليه...

الضياع يشبه الضباب، تدخله ويدخلك دون أيّ حواجز،
يتغلغل في جوفك ويخرج منك دخاناً!!.

أنا في ذمة الحرف ما دام يكتبني، فالحكم للكلمات ما دامت مطرقة
القاضي في يدك.

شهادة تشرئب لها نصوصي، ويخفق بها جناحي ويلصقها في سدره السماء،
ممهورة بتوقيعك كيلا تطالها الريح...

أما الآخر فذاك هو الشراع في متن مركبي.

شكراً للقوارب التي تلتقينا في عرض هذا البحر.

بعد أن غادرتنا أشياء كثيرة، لم يبقَ لنا إلا قلوبنا التي تغسل صداً الأيام
من أعمارنا، وتزيح عنا عنوسة الحياة ومتاعبها، وستظل نبضات قلوبنا
معلقة على خرائط الاشتياق، تبحث عن الحنين المجهول لكي تجد العزاء في
النهارات الغائبة عن أصابع أحلامنا في الزمن الصعب! وباليقين في فرج
الله، سيأتي يوماً نطارده فيه ظلنا عبر الضوء القادم من نوافذ قلوبنا التي
تشع منها نور الحب والخير، سيأتي هذا اليوم دون موعد، دون موعد!

قد يتعطل جزءٌ من الجسد، فيترجمُ ما به على نفسه.. فيظهر هزياً أو منتفخاً.. شاحباً و باهتاً لا يُجامل صاحبه.. فنقول: "مرض جسده"!!

أما أن تتعطل أحاسيسه، فيمسك القلم ليكتب على الورقة، وكأنَّ قدمه هي مَنْ تكتب! فيمزق الورقة ويرميها..!

يحاول مرةً أخرى، لعلَّ أقلامه تثرثر قليلاً عنه.

فيمسكها مرةً أخرى فيخونه الحبر، فهو نعم يكتب، لكن بدموع لا تشبه أي لون، فتبتل الورقة وتنكمش على نفسها وترحل..

فيحاول الإبهام.. يكتب شيئاً ويمسحه! وكأنَّ الأحاسيس لا تكذب، لا تجامل، لا تحب الكذب! فتصمت، ويصمتُ معها كل شيء، إلا غصة الحنجرة تلك، وكأنَّها عضَّة تركت آثارها على الجسد فحرمتُ اللذة في الراحة وخذشت سكونه..

ياااه، لا أعلمُ حقاً كيف كتبت! ربما لأنني في قمة ألبي الجسدي، فحزنت على حروفي!

إليك وحدك خفق قلبي من بين جميع النساء اللواتي عبرنَ سنوات القحط
والوحدة المريرة في حياتي؛ فماذا أفعل؟؟ قلبي يخفق بحيوية من أجلها
وعيناي تصادقتا تماماً مع السُّهاد!!.

مُذُ عرفتُ هذه الفتاة أستفيق من النوم صورتها تسبح أمامي في الضوء
الرقيق، ولا أكون قد غفوت أكثر من ربع ساعة، فلا أستطيع إلى النوم
سبيلاً، أبقى أعيش مع صورتها وأبقى مطوقاً بصحبتها في الفضاء الرحيب،
عند تخوم الشوق إلى البراء كمن يطوف بحثاً عن سعادة ضائعة.

أترين أيتها الغالية؟! أحس بأني في ورطة معك، وفي ورطةٍ مع نفسي أيضاً؛
فأنا قادرٌ أن أحبَّ كلَّ ما تحبُّه وكلَّ من تحبُّه.

أكره التجول بين الصحف كعابر سبيل، أو كبائع الصحف الذي يقف عند الإشارة الضوئية لبيع شيئاً قد تخلص منه الجميع منذ مدة، فأشعر بأنني الهامش أو آخر الصفحات التي تحتوي كلمات متقاطعة، يتسلل بها كبار السن.

فقررت المشي على جوانب الصحف، في تلك المساحات الفارغة التي لا ينظر إليها أحد، لعلّ وعسى القلم يحدثُ أمراً، ويغير مسار الخطوات..

فكلّ الأوراق على ما يرام.. لكنها مُهملة..

وكلّ الأقلام تكتب حبراً، لكنها أميّة..

وأنا أقف في المنتصف بحثاً عن كلمات تخصني!

في بعض الأحيان أعتقد بأننا سجناء وضحايا مشاعرنا الوجدانية الشابة،
والتي تطمح إلى التنفس عمّا بالداخل.

انفعالاتنا أقنعة على متن أجسادنا، فمنها نرى بأننا قادرون على التعبير
والحديث!

وإن كانت خاطئة.

نحن نشعر بالحرية الزائفة التي من حقها ركلنا بأقدامها المقطعة... لأننا فعلاً
نتظاهر بكلّ شيء....

لرائحة الورق عطرٌ من نوعٍ خاصٍ قد لا نجده إلكترونياً، وقد تغفى العين
دون ضوءٍ يُنير عتمة الغرفة، فينسدلُ الهاتف تحت غطاء السرير ليعانق
نعاسَ العين ويحضن الحروف لا إرادياً...

فأنا أفضلُ القراءةَ وما استطاع إليها سبيلاً.

بدأت يداه تدريجياً بالارتجاف، ووصل به الحد إلى أن كسر القلم!!!
يقول لي: رسمت الكثير من اللوحات الفنية، لكن الكثير من المشاعر لا
يمكن لقلم أن يصفها رسماً!!!!
بدأت أشتُم القلم... لن أرسم بعد الآن شيئاً... وتناولت قلّمي وإذ بي أكتب،
كانت الكتابة رسماً من نوع آخر.
كانت الكتابة ممتزجة بالألوان أوضح وأدق.
دعوه يكتب إذاً...
دعوه يعبر عن ذاته،
لقد مات كل شيء داخله فلا تقتلوا قلمه!

أنا لا أحاول أن أنتشي من الحقيقة صمتاً، ولا من الأيام اكتفاءً! فلستُ
من مناصري الشبع، بل أنا جائع... جائعٌ جداً، تأكل الكلمات جدران معدني
الممتلئة...

ستحل علينا أيام، سندرك فيها معنى كنا يوماً من الأيام هنا، في هذا العالم
المنطوي، حيث لا يتحرك منه جزء من الثانية وإلا ضاعت.

أطفال بعمر الشيخوخة نحن، في وجهنا تعب العمر وفي روحنا تجاعيد
البقاء، نحن نحاول!

أجل نحاول، بأن نكون عبرة وذكرى..

كلنا نضحك على أنفسنا، نبادلها أقصى درجات المزاح، حتى لا نقرب من
الحقيقة!

جبناء.. أحياء جبناء.. وها أنا أرتكب أكبر غلطة في حياتي "أكتب ما لا
أعي".

لا يَرِدُ إلى ذهني أيّ قصة أو حرف، بل أصبحتُ صامتاً حيال ما يدور.. لا
مجال للخيال أو الأحداث في عقلي.

بل أصبحتُ مجرد فكرةٍ عابرة..

أخطر على بالي وأمضي..

ومن ثم أخطرُ على بالي وأمضي..

حتى يخيل لي أنني مضيت،

لكنني أقف في المنتصف

لا مجال للرجوع ولا مجال للمضي!

قهوتها السّماء أوْشكتْ على الانتهاء، ففراقُ طعمها الروحاني أخذني إلى
ذلك العالم الذي تراودني الشكوك بانتهائه، أرتشف منها القليل القليل!
لأنني أكره الفراق!

فما بال فراق قهوتها!

جلستُ أفكر برائحتها التي سأشتاقها حدَّ شهيتي وزفيري لحظة رؤية
طيفها!

جلستُ أفكر بلونها الجذّاب الذي يشبه لون عيني! وكأنّها صنعتها من أجل
أن تشبه نظراتي!! ولتكون الفيصل ما بين جميع فناجين القهوة التي شربتها
وتلك التي من صنع يديها.

ومن ثم جلستُ أفكر بشعور الرشفة الأخيرة!

فقررتُ أن لن أكمل قهوتي..

صفحةً بيضاء وقلمٌ حبر، هذه هي الحياة الحالية وهذا هو الواقع الفني لأفراد الطاقم الذين يتحولون عن كونهم بشر.

ربما نقطةً وسطرٌ جديد هي الحجة السوداء، التي كانت تُطلق وقت طلب المبررات ووقت القيام بأي عملٍ شائن، لا تغفره النفس حتى يغفره الآخرون.

ماهي حياتنا إن لم نكن نعاني من مصاعب تضعفنا في عجلة زمنية مركونة بالقرب من وحل الماضي، وما إن تلف وتدور بنا حتى لا نلقى أنفسنا إلا في حقبةٍ جديدةٍ من ذكريات ووأدٍ حاضرٍ يستنجدُ من عدم إكثرائنا به.

نحن لا نتعلم العيش فعلياً، إلا إذا أكل منا العيش ذاته ما يحتاج من حياة.. ولأننا لم نعتد سوى على التضحية، نضيع ولا مأوى يضمننا.

ستخط الصفحات الكثير من الأحداث والمجريات القديمة.

ولن يبقى لنا سوى هواية واحدة تدعى "استعراض عضلات الماضي".. وكأنه القوة الدافعة التي تحركنا وتشد على تسارعنا حتى لا يسقط أحد منا سقوطاً حراً يوازي الموت.

غربة

سأبدأ سنة جديدة أما بعد...

لقد قلّمتُ أظافري ووضعتُ في ذلك الإناءِ المكونَ على شرفتي أمنيائي..
واعتنقتُ حياةً جديدةً أصليَ عبرَ أيامها أحلامي، وكم هي مزعجةٌ أحلامي..
تعيشُ على غذاءِ جسدي! لذلك أصبح جسدي ضعيفاً.

رتبتُ غرفتي استقبالاً للأيام الجديدة..

للأشخاص الجدد...

للقلبِ الجديد الذي نام في أوردتي..

وابتسمتُ تسعة وتسعين ثانية أنتظر المئة، لكي آخرَ ضحكاً لا حزنَ بعده.

كتبتُ حروفي في عقلي ونسيتُ كم هي غالية على طفولتي.. استسلمتُ
لمشاعري كثيراً...

صرختُ كثيراً....

أحببتُ كثيراً..

ضحكتُ كثيراً..

وتعلّقتُ أكثر.. حتّى لعقتني الحياة وأخبرتني بأنّ طعمَ العذابِ لذيقٍ ومنه
يبتدئ الإنسانُ حياته الجديدة!

ذهابُ سنةٍ والبدءُ بواحدةٍ جديدة، هو الفقدانُ الوحيد الذي نحبه ولا
نخشاه، فنشعرُ بعظيمِ النهايات السعيدة، التي كنا نسمع عنها في أفلام
الكرتون. فلا عزاء لنا بهذه النهاية سوى استقبال بدايةٍ بنهايةٍ أخرى
وهكذا تستمرُّ بنا الحياة.

قراءة أدبية

"ضياعٌ يشبه الضباب" عنوان يحمل في طياته الكثير من التأويل؛ فالضياع بمعناه العام واضح بشكله الأولي، أما أن يشبه الضباب؛ فهنا يكمن السرّ، أو بالأصح الإبداع الذي تألق به الكاتب حسن أبو قطيش، حيث أراد أن يشدّ وثاقَ الوجد أكثر؛ فيشبه الضياع بالضباب، والذي بدوره يحجب الرؤية بمعناه العام، أما الضباب الذي يريده الكاتب هنا؛ فهو الضباب العاطفي، الرّوحي، الحسيّ، هذا ما أراد أن يوصله لنا الكاتب في لوحته الفنية هذه، فكيف يكون الضياع حين يصبح كالضباب!!؟

إنّه لأشدّ وجعاً وإيلاماً لقلب الإنسان، وخاصة الإنسان الحساس الذي يملك روحاً نقية طيبة، لا تحتوي ولا ذرة من الخبث والدناءة، أما النصوص المنشورة فوق السطور فهي قمة الإبداع والعمق في بلاغتها وصورها، حيث استخدم الكاتب أسلوب التبدّل في حقائق الألفاظ ليستخدمها في ألفاظ أخرى تعطي معنى لا يفقهه إلا ثاقب البصيرة، والقارئ المتقن لقراءة ما بين السطور، الكثير من لوحاته الفنية والتشبيه الممتع الذي استخدمه الكاتب، ليس ليجذب القارئ فحسب، إنما هي انعكاسات روحه النقية والتي تفجرت ينباع أدبية متقنة، لن أشرح أكثر في الكنوز التي رأيتها في

هذا النتاج الأدبي الراقى، لأترك الفضول للقارئ لأن يغوص بنفسه، ويللمم
الدر من قاع أجمدية الكاتب المتألق حسن أبو قطيش.
لك منا أجمل الأمنيات بالتألق الدائم أيها الكاتب المرموق.

الأديبة: د. هبة ماردين

سفيرة السلام والنوايا الحسنة

المدير التنفيذي

بدار ديوان العرب للنشر والنوزيع

كلمة الناشر

إن الكاتب حسن أبو قطيش من الكتاب المميزين في الساحة الأدبية، بحرفه الرزين، المبدع دائماً، ومهما كتبت عنه لن أوفيه حقه، فهو صاحب الأخلاق العالية، والأدب الملزم، وكلماته إنما تنبع من عمقه بكل إتقان وإبداع في انتقاء حروفه المنسقة بشكل جميل يجذب القارئ، ويجعلك تبحر معه في زورقه الملون بالصور الفنية الغنية، في هذه الخواطر النثرية نرى فيض إحساس الكاتب رغم الكم المتدفق من الحزن بين سطوره، إلا أنه أعطانا نصوصاً جميلة هادفة بمعانيها، متألفة بصورها الأدبية غنية بمفرداتها البليغة، يمتاز قلم الأستاذ حسن بالرشاقة في طرح الفكرة؛ فيحين يطلق العنان لقلمه، لا يتقيد بحيثيات الكتابة إنما قلمه الذي يحمل مخزوناً كبيراً من الثقافة، هو من يسطر هذا الإبداع وينمق الأساسات الأدبية فوق السطور، كتاب يستحق أن يرى القراءة، وأن يستمتع القراء به، ألف مبارك أديبنا الراقي وبالمزيد من التألق.

د. محمد وجيه



تم بحمد الله

ضياع يشبه الضباب

خاطر

حسن أبو قطيش

الطبعة الأولى

1442 هـ - 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com